يعقوب مونيتا، مناضل اشتراكي ثوري أممي عابر للقرن العشرين

حلت يوم 3 مارس ذكرى وفاة الرفيق يعقوب مونيتا، أحد مناضلي الأممية الرابعة البارزين. سيعا للإفادة من جهود من سبقونا على درب النضال من أجل تحرر الطبقة العاملة، ومعها البشرية جمعاء، نعرض في هذا الملف تعريفا بهذا المناضل الفذ، بترجمة ما تيسر من نصوص على انترنت، وكذا بترجمة مقدمة الرفيق بيار فرانك (من كبار قادة الأممية) لكتاب مونيتا عن الحزب الشيوعي الفرنسي ومسألة الاستعمار.(نسخة من هذا الكتاب متاحة لمن يطلبها من جريدة المناضل-ة). نأمل أوفى استفادة للقارئ/ة مع وعد بالتعريف بمناضلين/ت آخرين من طينة يعقوب مونيتا ممن أسهموا في بناء الأممية الرابعة، و الذين لن تغفر لنا الأجيال القادمة عدم ايفاءهم حقهم. (جريدة المناضل-ة)

جاكوب مونيتا 1914-2012

"يجب أن يكون للبشرية حق الحلم

"

بقلم كلاوس إنجرت KLAUS ENGERT

لم يكن طويل القامة، لكنه كان مذهلا. بهرتني بلاغته، ومقدرته على شرح الموضوعات المعقدة بطريقة يسهل على الجميع فهمها، وكذلك سهولة تعامله مع الآخرين، وذلك منذ أول لقاء بيننا في منتصف سنوات 1970. وعندما اكتشفت قصته لاحقًا، أصبحت أكثر إعجابًا به. عاش يعقوق حياة مفعمة بالمحن التي عانى منها اليهود والشيوعيون والشيوعيون اليهود، وخاصة الشيوعيون اليهود اليساريون، خلال القرن الماضي. لكنه كان يواصل الحلم، ويستشهد بعبارة لينين عن الحلم في مذكراته عام 1978.

ولد يعقوب في بلازوفا Blazowa ، التي كانت آنذاك جزءًا من الإمبراطورية النمساوية المجرية وتقع شرق غاليسيا. عند تأسيس الدولة البولندية في العام 1918، اندلعت جملة مذابح ضد اليهود. ندد والده، الذي كان من أصل ألماني، علنًا بالمحرضين على هذه المذابح وأُجبر على المنفى. ثم انتقلت العائلة إلى كولونيا في ألمانيا. وتعرض يعقوب، بصفته عضوًا في الجالية اليهودية، لهجمات معادية للسامية. لذلك كان من الطبيعي أن يبدأ نشاطه السياسي في منظمة شبابية صهيونية-اشتراكية. وانضم في العام 1931، مع أعضاء آخرين من مجموعته إلى SJV (رابطة الشباب الاشتراكي)، وهي منظمة شبابية انشقت عن الجناح اليساري للحزب الاشتراكي الديمقراطي(SPD) ، وكان المستشار الألماني لاحقا ويلي برانت عضواً فيها أيضاً. في تلك الفترة، تحول يعقوب إلى التروتسكية، ضد إرادة والده، الذي طرده من المنزل.

لكن انتصار الفاشيين في العام 1933 أجبر العائلة على الهجرة مرة أخرى. بينما غادر والداه إلى كوبا، ثم إلى الولايات المتحدة، قرر يعقوب تحقيق حلمه وذهب للعمل في كيبوتس [مجموعة سكانية يشكلها أعضاؤها، معتمدة على الزراعة، بلا ملكية فردية، لتلبية حاجاتهم(م)] في فلسطين. كان يعمل هناك في صناعة صناديق البرتقال. ولكن على عكس ديفيد رازيل، سلف مناحيم بيغن على رأس منظمة إيرغون، لم يكن صهيونياً: كان يناضل من أجل فلسطين اشتراكية ذات دولتين.

لذلك، لم يغادر يعقوب وآخرين الكيبوتس بمحض إرادتهم: فقد طردتهم الأغلبية الصهيونية في العام 1938، بعد أن بدأوا نضالاً من أجل يوم عمل من ثماني ساعات. ذهب إلى حيفا، حيث أسس نقابة عربية-

يهودية. بعد ذلك بوقت قصير، سُجن يعقوب من قبل الإدارة البريطانية وحُكم عليه بـ "سنة على الأقل" – قضى في النهاية أكثر من سنتين في السجن. في مذكراته، يروي أن رجلاً يدعى موشيه دايان دخل السجن ذات يوم؛ أُطلق سراحه بعد ذلك بوقت قصير...

بدأ حياته الصحفية في السجن. نظم مع آخرين نوعًا من الجامعة السجنية، وتعلم اللغات (تحدث في النهاية بعشر لغات) ونظم إضرابًا عن الطعام. بعد إطلاق سراحه، تعاون مع اليسار العربي. ولكن بعد انتهاء الحرب، أصبح أكثر فأكثر محبطًا من سياسة الصهاينة. كتب في مذكراته: "هنا، أصبح اليهود مرتكبي مذابح."

لذلك عاد إلى أوروبا في العام 1948 وعاش، بدون جواز سفر صالح، حياة مهاجر غير مستقرة في فرنسا وبلجيكا.

عاد، في متم العام 1948، إلى ألمانيا. في العام نفسه، انضم إلى IKD (الشيوعيون الأمميون في ألمانيا)، الفرع الألماني للأممية الرابعة ، حيث بقي حتى وفاته. كان عصامياً، وعمل صحفياً في صحيفة اشتراكية ديمقراطية. طُرد في النهاية من عمله لنشره مراراً وتكراراً مقالات لكاتب يدعى إرنست ماندل في تلك الصحيفة نفسها.

عندما اختارت الأممية الرابعة تكتيكات ما يسمى بالدخولية [عمل الثوريين داخل أحزاب عمالية جماهيرية إصلاحية إما براية مرفوعة، أو مخفية حسب الظروف (م)]، انضم إلى الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني .(SPD) في عام 1953، حصل على وظيفة في السفارة الألمانية في باريس، كملحق للشؤون الاجتماعية، وظل فيها حتى عام 1962. خلال هذه الفترة، عمل سراً لدعم الأممية الرابعة إبان حرب التحرير في الجزائر.

في العام 1962، دعاه رفاقه السابقون في حزب العمال الاشتراكيSAP ، الذين أصبحوا في غضون ذلك أعضاء في الحزب الاشتراكي الديمقراطي SPD ويشغلون مناصب مهمة في النقابات، لتولي رئاسة"Metall" ، صحيفة أعضاء نقابة عمال الصناعات المعدنية، وفي الوقت نفسه مجلة المسؤولين النقابيين Der" Gewerkschafter".في تلك الفترة، نشر الصحفي الاستقصائي غونتر فالراف أول مقالاته عن ظروف العمل في المصانع الألمانية. في السبعينيات، نظم مونيتا الحفل الموسيقي الشهير مع الملحن الألماني الشرقي وولف بيرمان، الذي أدى إلى نفي الأخير. حتى تقاعده في عام 1978، تولى إدارة الصحيفة، التي ارتفع توزيعها من 1.8 إلى 2.2 مليون نسخة.

في الوقت نفسه، كان لا يزال عضواً في الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني (SPD)، وكان يعمل سراً لصالح الفرع الألماني للأممية الرابعة ، أولاً داخل الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني، ثم بعد حل الفرع وتأسيس المجموعة الماركسية الدولية (GIM) في عام 1968، لصالح جريدتهم ."Was tun" حتى تقاعده، كان يكتب فيها بانتظام تحت اسم مستعار "آنا

أرماند"، ثم باسمه الحقيقي، وواصل الكتابة بعد اندماج المجموعة الماركسية الدولية مع مجموعة ما بعد ماوية داخل الحزب الاشتراكي الموحد (VSP) في صحيفةSOZ ، حيث كان يكتب عمودًا شهريًا حتى تجاوز التسعين من عمره.

طوال هذه السنوات، لم يقتصر نشاطه على العمل النقابي، بل شارك أيضًا في الحركات السياسية، لا سيما ضد حرب فيتنام والطاقة النووية والستالينية. في عام 1952، نشر كتابًا عن تاريخ اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي. بعد حفل بيرمان الموسيقي، منعته الحكومة الألمانية الشرقية من دخول أراضيها حتى عام 2000.

بعد سقوط الجدار، تم طرده من الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني (SPD) بعد 40 عامًا من العضوية، وانضم، مثله مثل رفاقه في الفرع الألماني، إلى الحزب الديمقراطي الاشتراكي (PDS) (الحزب الاشتراكي الديمقراطي، الحزب الشيوعي الألماني الشرقي السابق) في عام 1991 . وظل عضواً في لجنته التنفيذية حتى سن الثمانين.

ظل يعقوب وفياً للحركة العمالية وللأممية الرابعة حتى نهاية حياته. وفي مقال سيرته الذاتية عام 1978، عرض الأسباب الشخصية التي دفعته إلى ذلك، وهي أسباب متجذرة بعمق في تجربته كشيوعي يهودي:

"من لم يُقتل في معسكرات الاعتقال، ولم يُقتل في غرف الغاز، ولم يسقط في الحروب الإمبريالية، لا يحق له التخلي عن النضال من أجل الاشتراكية."

المصدر:

https://internationalviewpoint.org/Jakob-Moneta-1914-2012

يعقوب مونيتا (1914-2012): يهودي أممي ونقابي اشتراكي

جون س. ويل John S. Will

ممثلًا لجيل من الاشتراكيين المتسيسين في سنوات 1930، عند مفترق طرق بين الاشتراكية الديمقراطية والشيوعية، أدى يعقوب مونيتا دورًا مهمًا في الحركة النقابية في ألمانيا الغربية.

كان، من عام 1962 إلى عام 1978، كن عضوًا في اللجنة التنفيذية الفيدرالية لنقابة الصناعات المعدنية IG Metall ، أحد أكبر النقابات الصناعية في العالم، وكان رئيس تحرير أسبوعيتها ذات التوزيع الواسع، *Metall*، وكذلك *Gewerkschafter*.

كان مونيتا، مع اشتراكيين مثل هاينز براندت وماكس ديامانت وهاينز دوربيك، ينتمي إلى مجموعة من قادة IG Metallفي الستينيات والسبعينيات، تحت رئاسة أوتو برينر، الذين عملوا على وضع سياسة نقابية اشتراكية. على الرغم من بعض أوجه التشابه في سيرته الذاتية (شهادة على الحركة العمالية في جمهورية فايمار، وتدميرها على يد النازية، والمقاومة المناهضة للفاشية، والسجن في معسكرات الاعتقال، أو حتى المنفى والعودة بعد عام 1945)، تميز مونيتا عن الآخرين بانجذابه إلى اليسار الألماني الغربي، بما يتجاوز الوسط النقابي وحده.

من كولونيا إلى فلسطين

ولد يعقوب مونيتا في عام 1914 في غاليسيا النمساوية المجرية، في عائلة يهودية أرثوذكسية. نشأ في بيئة برجوازية، لكنه اضطر إلى الفرار مع عائلته إلى كولونيا في سن مبكرة بسبب المذابح المعادية للسامية التي أعقبت استقلال بولندا في العام 1918. تلقى في البداية تعليمًا دينيًا، لكنه سرعان ما انضم إلى منظمة الشبيبة الماركسية الصهيونية الأممية هاشومير هاتسير (Hashomer Hatzair) بعد أن انخرط في رابطة ألعاب القوى للشباب اليهود من الطبقة العاملة.

في نهاية جمهورية فايمار، انضم فرع هاشومير هاتزير في كولونيا، الذي كان مونيتا عضواً فيه، بشكل جماعي إلى رابطة الشباب الاشتراكي الألماني(SJVD) ، وهي منظمة شبابية تابعة للحزب الاشتراكي العمالي(SAPD) ، الذي انشق عن الحزب الاشتراكي الديمقراطي (SPD) في عام 1931. وعلى غرار معظم أعضائه، كان مونيتا يأمل في تشكيل جبهة موحدة مناهضة للفاشية تجمع الاشتراكيين الديمقراطيين والشيوعيين لمواجهة صعود النازية - وهو أمل لم يتحقق. "لقد هُزمنا"، كما لخص لاحقًا ، "دون أن نحاول حتى المقاومة المنظمة والجماعية."

وعلى عكس العديد من الشباب اليهود اليساريين الآخرين، لم يخضع مونيتا لما كان يُسمى "الانصهار الأحمر"، أي الانفصال التام عن الوسط اليهودي في أوروبا الشرقية. فقد ظل، برغم انضمامه إلى الحركة العمالية الألمانية، مخلصًا للقضية الصهيونية. وقرر، بعد وصول النازيين إلى السلطة وحل المنظمات العمالية الألمانية، بعد أن أنهى دراسته الثانوية في نوفمبر 1933، الاستجابة لدعوة هاشومير هاتسير للمساهمة في بناء وطن قومي يهودي في فلسطين، التي كانت

تحت الانتداب البريطاني آنذاك.

في فلسطين، انضم بحماس إلى الكيبوتس الألماني BaMifne في كاركور وحصل على شهادة ماجستير في صناعة صناديق البرتقال. تركت هذه التجربة في الكيبوتس أثراً عليه طوال حياته: "كنت أدرك أنني أشارك في مغامرة كبيرة ستساهم يوماً ما في خلق الإنسان الاشتراكي" .

بدا تحقيق مجتمع مساواة، تحت رعاية الصهيونية الاشتراكية، في متناول مونيتا في البداية. لكن مع مضي الوقت، تلاشى هذا الأمل تدريجياً. أمضى معظم وقته في الصراع مع الهستدروت، الاتحاد النقابي الذي يهيمن عليه الحزب الاشتراكي الديمقراطي ماباي، الذي لم يكتفِ بالدفاع عن مصالح العمال اليهود ضد رأس المال، بل اتخذ، باسم «تحرير العمل اليهودي " (أي تطوير طبقة بروليتارية يهودية في إطار وطني)، اتخذ موقفاً تقييدياً تجاه الطبقة العاملة غير اليهودية في فلسطين ورفض، على سبيل المثال، قبول العمال العرب بين أعضائه. لم يوافق مونيتا على هذا الموقف. قاد الإضرابات من أجل المساواة في المعاملة بين العمال العرب واليهود والمساواة في الأجور، مما كلفه وظيفته كحرفي ماهر.

أدت الانتفاضة العربية للعام 1936 إلى تراجع جهوده لبناء حركة عمالية ثنائية القومية. بسبب القتال بين الجيش البريطاني والجماعات العربية المسلحة، تم تدريب مونيتا من قبل الهاغاناه، وهي ميليشيا يهودية متأثرة بشدة بحزب ماباي، من أجل الدفاع عن الكيبوتس ضد أي تهديدات محتملة. مع "تهدئة" الصراعات من قبل الانتداب البريطاني في عام 1939، أصبح مونيتا وأعضاء آخرون في الكيبوتس على خلاف متزايد مع سياسات الصهيونية العمالية، ما أدى إلى طرد مونيتا وأربعة من رفاقه.

شكل هذا الطرد نقطة تحول في حياة مونيتا. كتب في العام 1978: "لم نكن نريد مغادرة الكيبوتز، الذي كان موطننا وأسلوب حياتنا وعائلتنا". لكن هاشومير هاتسير اعتبرت انتقادات المجموعة انحرافًا عن الخط السياسي: «سرعان ما أدركنا أن أي شخص لم يعد صهيونيًا لا يمكنه العيش في الكيبوتس الذي، برغم تجاربه الاجتماعية التقدمية، هو رأس حربة الصهيونية".

في حيفا، انضم إلى مجموعة تروتسكية صغيرة، هي بريت كومونستيم مهابشانين (الرابطة الشيوعية الثورية)، التي كانت تعارض الوجود البريطاني في فلسطين وتدعو إلى وحدة الطبقات العاملة اليهودية والعربية، التي كانت منفصلة آنذاك بسبب معايير عرقية. كان مونيتا قد تعرف على كتابات تروتسكي أثناء دراسته في كولونيا، ولا سيما بفضل هانز ماير، عضو الحزب الاشتراكي الألماني الديمقراطي (SAPD) الذي أصبح لاحقًا باحثًا أدبيًا مشهورًا. عززت تجربته في فلسطين نزعة العمال الدولية التي كانت متجذرة في تقليد »يديشلاند الثوري « للبروليتاريا اليهودية في أوروبا الشرقية، واستندت إلى تجربة اليهود مع الاضطهاد، واعتبرت التحرر الاجتماعي مهمة عالمية.

في الاعتقال

استهدف قسم التحقيقات الجنائية البريطاني التروتسكيين بسبب موقفهم المعادي لبريطانيا. تم اعتقال مونيتا ويغئيل غلوكشتاين، الذي أدى لاحقًا دورًا مهمًا في التروتسكية العالمية بعد الحرب العالمية الثانية تحت اسم توني كليف، دون محاكمة، أولاً في حيفا، ثم في

مسرا وسرافاند. تم اعتقال العديد من معارضي الجيش البريطاني في معسكرات مختلفة: شخصيات مثل الجنرال لاحقا في قوات الدفاع الإسرائيلية، موشيه دايان، أو أعضاء من منظمة إيرغون، وهي منظمة شبه عسكرية صهيونية (مثل أفرام ستيرن، ديفيد رازييل وأبراشا زيلنر)، تم سجنهم إلى جانب مونيتا.

كما أقام التروتسكيون علاقات مهمة مع شخصيات يسارية عربية، مثل جبرا نيقولا، القيادي السابق في الحزب الشيوعي الفلسطيني. ومع ذلك، بدا أن البوصلة السياسية التي وصل بها مونيتا إلى فلسطين قد تعطلت. إذ أصبح الجانب الاستعماري لاستراتيجية الاستيطان الصهيوني والموقف القمعي للسلطات البريطانية موضوعي انتقاده الرئيسيين: "تعلمت أن الإمبريالية الديمقراطية، في كفاحها للحفاظ على إمبراطوريتها، تكون أحيانًا دنيئة تمامًا مثل الفاشية التي تنطلق لغزو إمبراطورية جديدة". أدى اعتقاله إلى قطيعة نهائية مع الصهيونية، مع تعزيز أمميته الاشتراكية اليهودية.

أخيرًا، غيّر الهجوم الألماني على الاتحاد السوفيتي وضعه: بعد ثلاثة أشهر من بدء عملية باربا روسا ، أُطلق سراح مونيتا وغيره من الشيوعيين من معسكرات الاعتقال. ووضع تحت مراقبة الشرطة المستمرة، وبدأ العمل في وكالة فرانس برس، لكنه ظل معزولًا إلى حد كبير مع مجموعته التروتسكية الصغيرة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية.

تلاشت آماله في ظهور طبقة عاملة يهودية-عربية موحدة عندما اشتدت أعمال العنف بين الانتداب البريطاني والمنظمات الصهيونية والميليشيات العربية بعد عام 1945، ما أدى إلى سقوط المزيد من الضحايا المدنيين. بصفته يهوديًا هرب من المذابح ومعاداة السامية في بولندا وألمانيا ولجأ إلى فلسطين، لم يفوت عليه ملاحظة أوجه التشابه مع نزوح *الفلاحين العرب*.

لقد دخلوا الشتات مثل اليهود قبلهم بـ 1900 عام. في عام 1933، وصلت إلى فلسطين العربية كيهودي. عندما غادرت في عام 1948، كان العرب قد اعتنقوا اليهودية. عدت إلى ألمانيا في نوفمبر 1948، مقتنعًا بمعتقداتي الأممية.

قبل إعلان استقلال إسرائيل في عام 1948 بوقت قصير، غادر مونيتا فلسطين وعاد إلى أوروبا. حاملاً تأشيرة سياحية، توجه أولاً إلى فرنسا وبلجيكا، ثم عاد إلى كولونيا.

إذا كان مونيتا يأمل استمرار الحركة العمالية الألمانية دون عوائق بعد نهاية الحرب، فإن آماله الثورية سرعان ما خابت عند عودته. وجد وظيفة محرر في صحيفة *Rheinische Zeitung*، *وهي صحيفة* اشتراكية ديمقراطية، تحت إشراف هاينز كوين وويلي إيكلر، وانضم إلى الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني (SPD)، دون أن يكشف عن انتمائه إلى الفرع الألماني للأممية الرابعة. اندلعت خلافات بعد نشر مقال في صحيفة *Rheinische Zeitung* *يؤيد* تجربة التسيير الذاتي اليوغوسلافية، ما أدى إلى إجباره على مغادرة الصحيفة.

تعاون بشكل وثيق، بصفته اشتراكيًا ديمقراطيًا يساريًا وتروتسكيًا، مع العديد من المناضلين اليساريين والاشتراكيين غير المنتمين إلى أي حزب سياسي، وشاركهم طموحهم في بناء حزب ماركسي جماهيري في ظل الظروف الصعبة للحرب الباردة. كان جورج يونغكلاس وإرنست ماندل يزورانه بانتظام، بينما كان ليو كوفلر يعيش في الطوابق العليا من

المبنى. كتب لصحف مثل *Aufklärung* و*Pro und contra* (التي أصبحت لاحقًا *Sozialistische Politik*)، وفي عام 1953، نشر كتابًا قصيرًا مناهضًا للستالينية عن تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي. في العام نفسه، عُيّن في سفارة ألمانيا الغربية في باريس، مكلفًا بالشؤون الاجتماعية للاتحاد الألماني للنقابات(DGB) ، ما أتاح له آفاقًا جديدة للعمل الجاد.

ملحق بالسفارة الألمانية في باريس

كانت مهمته تتمثل، بصفته مسؤولاً عن الشؤون الاجتماعية في باريس، في تعزيز وتنسيق العلاقات بين النقابات الألمانية الغربية والفرنسية. لكن العمل الدبلوماسي لم يظل لفترة طويلة مجال نشاطه الوحيد.

مع اندلاع حرب الجزائر في عام 1954 ، بدأ النظام السياسي للجمهورية الرابعة في الانهيار. في مواجهة العنف المتزايد في النضال من أجل استقلال الجزائر، الذي اتسم بقمع الشرطة العنيف للمظاهرات الجزائرية، بما في ذلك في المدن الفرنسية الكبرى، تضامن جزء من اليسار الفرنسي مع حركة التحرير الجزائرية . ونظمت شبكات دعم حافظت على اتصالات مع جبهة التحرير الوطني (FLN)، وعملت مع العمال الجزائريين ودعت الجنود الفرنسيين إلى الفرار من الخدمة العسكرية.

كما شاركت الأممية الرابعة في هذه الحركة التضامنية وتمكنت من إنشاء مركز مهم لمونيتا. وبفضل وضعه كموظف في سفارة ألمانيا الغربية وعضو في السلك الدبلوماسي، كان مهيئا لأن يُعهد إليه بمهام آمنة نسبياً. وبصفته مهرباً، تمكن من نقل الأموال التي جمعها العمال الجزائريون في المصانع الفرنسية إلى سويسرا سراً، ومن تهريب كوادر جبهة التحرير الوطني إلى ألمانيا الغربية. كان هذا الحزب، الذي واجه قمعًا من السلطات الفرنسية، قد أنشأ مقرًا له في بون وكان يدير سياسته الأوروبية من هذه المدينة.

تمكن مونيتا بدعمه لجبهة التحرير الوطني الجزائرية، من العودة إلى نزعة الأممية الثورية بعد الفشل الذريع في فلسطين. وفي الآن نفسه، بدأ في انتقاد الأخطاء السياسية الفادحة للحزب الشيوعي الفرنسي، الذي كان مترددًا بين إدانة النضال ضد الاستعمار ودعمه. في أهم أعماله، *Die Kolonialpolitik der französischen KP** (السياسة الاستعمارية للحزب الشيوعي الفرنسي)، ندد بسلبية الحزب الشيوعي الفرنسي وسلط الضوء على الديالكتيك بين الطبقة العاملة الأوروبية والشعوب المضطهدة في الأطراف، كما وضعه الكومنترن في بداياته. ووفقًا لتقليده الذي يركز على الدور الاستراتيجي للحركة العمالية الأوروبية، لم يبدِ مونيتا اهتمامًا كبيرًا بالتيارات الأحدث في الحركة المناهضة للاستعمار، مثل تلك التي يمثلها فرانز فانون.

الصحافة وبناء الجسور

في العام 1962، استدعى أوتو برينر مونيتا إلى ألمانيا الغربية لخلافة كونو براندل على رأس مجلة *Metall* وصحيفة *Der Gewerkschafter*. استقر مونيتا في فرانكفورت أم ماين، حيث طور نشاطًا تحريريًا مزدهرًا. قدم دعماً صحفياً قيماً، في منصبه كرئيس تحرير، للمناقشات السياسية اليومية في IG Metall ولعب دوراً حاسماً في الحوار بين الأجيال.

بعد أن شهد الحركة العمالية قبل العام 1933، تمكن مونيتا من نقل هذه الذكريات. مع ظهور اليسار الجديد الثاني،

المدعوم بتجذر حركات الشباب والطلاب، قدمت خبرته مرجعيات سياسية لجيل شاب في طور التسييس. وظل على اتصال وثيق بفرع فرانكفورت لرابطة الطلاب الاشتراكيين الألمان(SDS) ، ولا سيما مع المتحدث باسمها، هانز-يورغن كراهل.

بعد وفاة أوتو برينر في عام 1972، دخل مونيتا في صراع مع القيادة، التي أرادت تغيير المسار تحت رئاسة أويغن لودرير. إلى جانب أنشطته النقابية، واصل الكتابة في الصحف اليسارية الأكثر سرية. تحت اسم مستعار هو آنا أرماند، على سبيل المثال، نشر في صحيفة "ويست تون" التروتسكية مقالات أكثر راديكالية بكثير من العديد من منشوراته التي نشرها باسمه الحقيقي.

في أواخر السبعينيات، كان مونيتا أحد النقابيين القلائل الذين عارضوا موقف الاتحاد الألماني للنقابات (DGB) المؤيد للطاقة النووية والتلوث البيئي. مع هاينز براندت، أسس Aktionskreis Leben، التي كانت تهدف إلى تقريب أعضاء النقابات من أفكار الحركات الاجتماعية الجديدة الناشئة، وبالتالي حشدهم وراء قضية العمال.

كان مونيتا ، فضلا عن نفوذه النقابي، معروفًا أيضًا في أوساط اليسار الألماني الغربي باهتمامه بالقضايا البيئية. دفعه نزعة الأممية إلى المشاركة في حملات التضامن مع جنوب إفريقيا وشيلي. دون التعرض لأي انتقام، تمكن، بصفته مسؤولاً رفيع المستوى، من إقامة اتصالات مع النقابيين المضطهدين بعد أسابيع قليلة من انقلاب بينوشيه في عام 1973 .وقد تجلى دوره كوسيط في الآونة الأخيرة، اعتبارًا من عام 1990، من خلال انخراطه في حزب الاشتراكية الديمقراطية (PDS)، حيث لعب دورًا رائدًا على الرغم من معارضته للستالينية وأمله الثابت في مستقبل اشتراكي، أو ربما بفضل ذلك.

بعد تقاعده في عام 1978 عقب صعوبات طويلة مع لودرير، تمتع مونيتا بحرية سياسية أكبر. مع نهاية "العقد الأحمر"، حسب تعبير جيرد كوينن، وبفضل "اكتشاف" الهولوكوست من قبل الجمهور العام، الذي أطلقته جزئياً المسلسل التلفزيوني *Holocaust*، تطورت الصورة السياسية التي كان مونيتا يرسمها عن نفسه.

في ضوء سيرته الذاتية، أصبح يركز بشكل متزايد على البعد اليهودي الخاص لموقفه السياسي. في النقاش حول الصراع في الشرق الأوسط، وجد اليسار الألماني الغربي، الذي أصبح معادياً للصهيونية إلى حد كبير بعد حرب يونيو 1967، في مونيتا مدافعاً عن التضامن مع الشعب الفلسطيني.

في العديد من المقالات والمقابلات، حلل الوضع في الشرق الأوسط في ضوء تجربته الشخصية. على الرغم من خيبة أمله من عملية إنشاء دولة إسرائيل، ظل موقفه، إلى حد ما، متناقضًا. بعد أن ابتعد عن الهدف الصهيوني، أكد، بعد فترة وجيزة من تقاعده، أن BaMifne أثبتت له أن «التربية الاجتماعية للإنسان الجديد في *الكيبوتسات* ، في المجتمعات المحلية، تنتج الإنسان الجديد». مدفوعًا بفكرة وضع الإنسان في قلب التحرر السياسي والاجتماعي، سعى مونيتا جاهدًا للحفاظ على روح الأممية اليهودية الثورية التي تبلورت بين الأمل الاشتراكي في المستقبل وخيبة الأمل في فلسطين.

توفي مونيتا عن عمر 97 عامًا في 3 lhvs 2012. قضى السنوات الأخيرة من حياته في دار رعاية يهودية. أثار نبأ وفاته حزنًا عميقًا في أوساط اليسار الألماني. كما شهدت تنوع

التكريمات التي قُدمت له على أهمية مونيتا بالنسبة للحركة النقابية والعمالية في ألمانيا. لم يكن فرع حزب اليسار Die Linke في ولاية هيسن ورئاسة تحرير صحيفة Metallzeitung (المعروفة سابقًا باسم Metallzeitung) وحدهما من قدموا تعازيهم؛ فقد أعربت شخصيات يسارية، متجاوزة الانقسامات الحزبية التقليدية، عن حزنها. وقد استعرضت النعي التي نُشرت في *Jüdische Allgemeine* و *Junge Welt* و *Neues Deutschland* و *Sozialistische Zeitung* حياةً طويلة وغنية بالأحداث. لخصت سيرة مونيتا النزعة الأممية اليهودية التي تأثرت بشدة بأحداث "القرن العشرين القصير" كما وصفها إريك هوبسباوم، مع الحفاظ على أمله في إقامة مجتمع اشتراكي.

نُشر هذا المقال لأول مرة في المجلد Die jüdische mit der allgemeinen proletarischen Bewegung zu vereinen. Jüdinnen und Juden in der internationalen Linken (Rosa-Luxemburg-Stiftung، 2021)

جون س. ويل طالب دكتوراه في معهد لايبنيز للتاريخ والثقافة اليهودية – سيمون دوبنو في لايبزيغ، ألمانيا.

كوليا سوينغل مترجمة مقيمة في راين-نيكار، ألمانيا

المصدر:

https://www.historicalmaterialism.org/figure/jakob-moneta-1914-2012-jewish-internationalist-and-socialist-trade-unionist/

احتفاء بيعقوب مونيتا(2012 – 1914)

سليم نادي

يوم 3 مارس 2012، فقدت الأممية الرابعة أقدم أعضائها، يعقوب مونيتا، المناضل التروتسكي واليهودي والمناهض للإمبريالية. يستعرض سليم نادي هنا اثنتين من تجاربه الرئيسية، في فلسطين وفرنسا إبان الثورة الجزائرية.

عبور يعقوب مونيتا لكامل القرن العشرين يجعل صعبا إعادة رسم مساراته وتجاربه السياسية المتعددة. بيد أنه، في ضوء الوضع الحالي وموقف قسم كبير من اليسار الأوروبي من النضالات المناهضة للإمبريالية، يبدو لنا من المهم العودة إلى تجربتين كان لهما تأثير كبير على فكر مونيتا السياسي: تجربته الفلسطينية وإقامته في فرنسا إبان الثورة الجزائرية.

ولد مونيتا في عائلة يهودية في 11 نوفمبر 1914 في النمسا-المجر، واحتفل بعيد ميلاده الرابع في نفس اليوم الذي أعلن فيه جوزيف بيسودسكي استقلال بولندا. وعلى صعيد آخر، اندلعت مذابح في المدن البولندية، بما في ذلك مسقط رأس مونيتا، "احتفالا" بالاستقلال:

في الأماكن حيث كانت"للبوند"، المنظمة اليهودية البروليتارية الرئيسة، قوات مسلحة، غادر المشاركون في المذابح في معظم الأحيان وجوههم ملطخة بالدماء. لم يكن اليهود وحدهم من دافع عن؛ فقد ساعدهم شغيلة جميع الجنسيات مدفوعين بوعيهم الطبقي. في نظرهم، كان معاداة السامية أحد أخطر الأسلحة بيد العدو الطبقي لغرض الدعاية. كان لا بد من محاربتها. بكل السبل[1].

إنه رداً على العنف المعادي للسامية الذي تعرضوا له، قرر والدا مونيتا المغادرة إلى ألمانيا، وبالتحديد إلى كولونيا، مسقط رأس والده، في العام 1919. في عام تخرجه من الثانوية (1933)، وصل الحزب الوطني النازي في ألمانيا ،وشهد يعقوب مونيتا مسيرة القمصان البنية:

لم أفهم إلا في اليوم الذي عبرت فيه مسيرة المشاعل المسلحة لقوات الصدمة SA معقل الشيوعيين في كولونيا، *Thieboldgasse*، أمام الشغيلة المفعمين بالكراهية، الصامتين، منزوعي السلاح من قِبل قادتهم، وأمام نسائهم اللواتي كن يبكين من الغضب والعجز، أن الأمر قد انتهى. لقد هُزمنا، دون أن نحاول حتى الدفاع عن أنفسنا. لقد تم تسليمنا للعدو.

ليتذكر كل من أرادوا بعد ذلك إلقاء مسؤولية فشلهم على "الجماهير": في آخر انتخابات حرة إلى حد ما للجان المنشآت نظمها النازيون في أبريل 1933، والذين كانوا يتصورون أنهم قد استطاعوا الوصول إلى عالم الشغيلة، حصلت النقابات الحرة على 73,4٪ من المقاعد، بينما حصلت منظمة الخلايا العمالية النازية على 11,7٪ فقط. أكيد أنه كانت ثمة إرادة مقاومة على الصعيد الشعبي. لكن القمة قد فرت[2].

كان مونيتا، في تلك الفترة، عضواً في منظمتين اشتراكيتين ألمانيتين*Sozialistischer Jugendverband* :، وهي منظمة شبابية قريبة من حزب الشغيلة الاشتراكي (SAP) *Sozialistische Arbeiterpartei*. لكن مونيتا كان أيضًا عضوًا في المنظمة الصهيونية الاشتراكية *Haschomer Hazair*، التي كانت تعتبر الهجرة إلى فلسطين "طريقا وحيدا للهروب من عواقب معاداة السامية والكراهية العنصرية للنازيين"[3]، والتي كانت ترغب في تأسيس دولة ثنائية القومية. بينما غادرت عائلة مونيتا إلى كوبا، ثم إلى الولايات المتحدة، غادر يعقوب بعد بضعة أشهر من حصوله على شهادة البكالوريا (في 2 نوفمبر 1933) إلى حيفا، حيث انضم إلى كيبوتز، يتألف من شباب ألمان يرغبون في تحقيق "المثل الاشتراكي للمساواة والإدارة الذاتية[4]."

فلسطين

يذكر مونيتا تجربة الكيبوتز باعتبارها نقطة التحول التي جعلته يدرك أن تنظيمًا اجتماعيًا آخر ليس مرغوبًا فحسب، بل ممكنًا أيضًا. ومع ذلك، سرعان ما كشف هذا المثل عن حدوده المتأصلة، حيث أدرك مونيتا أن *الهستدروت*، النقابة الصهيونية الرئيسية، ترفض الشغيلة العرب، وأن أي حركة عمالية صهيونية ستكون بالضرورة على حساب الشغيلة العرب. في العام 1936، تم طرد مونيتا من الكيبوتس، بعد أن أدرك الواقع العملي للمثل العمالي الصهيوني الذي كان يتطلب فصل العرب (لا سيما بالدعوة إلى شراء المنتجات اليهودية بشكل أساسي) ، وبعد أن ابتعد عن الصهيونية. تعيد تجربة مونيتا إلى الأذهان تجربة توني كليف الذي طُرد من منظمة *Mifleget Poale Zion Vehachougim Hamarchougim Hamarksistim b'Eretz*، وهي منظمة عمالية صهيونية، في عام 1938. كتب كليف في سيرته الذاتية:

كان الاشتراكيون الصهيونيون في فخ أيديولوجي. كانوا يعتقدون أن المستقبل للاشتراكية، وأن الكيبوتسات تمثل نواة مجتمع المستقبل (وليس مجرد تجمع مستوطنين). لكن في الآن كان، لم يكن بد من كسر مقاومة العرب للاستعمار الصهيوني، لذا تعاونوا مع الصهاينة الأثرياء والمؤسسات وكذلك مع الشرطة والجيش البريطاني. كان الاشتراكيون الصهيونيون يحملون *البيان الشيوعي* في يد، وبندقية المستعمر في اليد الأخرى[5].

بينما يؤرخ البعض لتحول مونيتا إلى التروتسكية في العام 1948، يبدو مرجحا أن ذلك حدث في عامي 35/1934، قبل وقت قصير من طرده من الكيبوتس. كما هو الحال مع كليف، كان لتروتسكية مونيتا دور في طرده. فور طرده، تم حبس مونيتا - الذي أصبح مناهضًا للصهيونية - من قبل السلطات البريطانية لمشاركته في إضرابات مع الشغيلة العرب:

بعد بضعة أشهر من طردنا من الكيبوتس، وبعد شهرين من بدء الحرب العالمية الثانية، تم اعتقال ثلاثة منا وسجنهم. بموجب قرار إداري ودون أي محاكمة، حُكم علينا بالسجن لمدة 12 شهراً، قابلة للتمديد حسب الرغبة. كان ذلك أول اتصال لنا بالإمبريالية البريطانية، التي كانت تعتبر اليهود غير الصهاينة خطراً[6].

يوضح إيان بيرشال، في سيرته الذاتية لتوني كليف، هذا التحالف بين الصهاينة والبريطانيين في قمع العرب:

جرى قمع ثورة [1936] بعنف من قبل القوات المسلحة البريطانية، التي استخدمت الإعدامات والعقوبات الجماعية ومعسكرات الاعتقال وتقييد السجناء بالسلاسل؛ كما ساعدتهم قوات صهيونية، ولا سيما "فرقة الليل الخاصة" (التي نظمها الضابط البريطاني أورد وينغيت) التي ارتكبت أعمال ضرب وقتل عشوائية في القرى العربية[7].

في السجن، التقى جاكوب مونيتا بالصهاينة (منهم موشيه دايان وأبراهام ستيرن) والمقاومين العرب، وفي نهاية الاثني عشر شهراً من الاحتجاز، تم تمديد عقوبته لمدة اثني عشر شهراً أخرى. استنتج مونيتا، من تجربته في السجن في فلسطين، أن "الإمبريالية الديمقراطية قد تكون، في سعيها للحفاظ على إمبراطوريتها، غير مكترثة بالوسائل التي تستخدمها، تمامًا مثل الفاشية عندما تنطلق لغزو إمبراطورية جديدة [8]."في النهاية، أُطلق سراح مونيتا في نفس عام انتهاء الحرب العالمية الثانية. وفي العام 1948، عاد إلى كولونيا، ولا يزال متأثرًا بشدة بتجربته الفلسطينية:

في العام 1933، وصلت أنا، اليهودي، إلى فلسطين. عندما غادرت البلاد في العام 1948، كان العرب هم اليهود الجدد. عند عودتي إلى ألمانيا في العام 1948، كنت من أشد أمميا راسخ الاعتقاد آملاً – متوهما! – أن يستأنف التاريخ مسارها من حيث توقف بعد ثورة 1918[9].

فور عودته، انضم مونيتا إلى الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني (SPD) وشارك في انضمام التروتسكيين الألمان إلى هذا الحزب. وفي العام 1949، أصبح صحفيًا في صحيفة قريبة من الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني، وهي صحيفة .Rheinische Zeitung عمل في هذه الصحيفة حتى عام 1951. إلى جانب عمله صحفيا، قام مونيتا بترجمة العديد من النصوص المتعلقة بالقضايا النقابية والستالينية والاستعمار. وفي العام 1953 شهد نشر أول كتيب سياسي له بعنوان Aufstieg und Niedergang des Stalinismus (صعود الستالينية وسقوطها)، والذي كان يروم إعادة تنشيط اليسار الألماني في جمهورية ألمانيا الاتحادية «المشلول بسبب الفاشية والستالينية [10] .«وفي العام نفسه – 1953 – أُرسل مونيتا كملحق للشؤون الاجتماعية في السفارة الألمانية في باريس، حيث بقي حتى عام 1962.

الثورة الجزائرية

كانت حياته في فرنسا، التي استمرت طوال فترة الثورة الجزائرية، بلا شك التجربة التي عززت قناعات مونيتا المناهضة للإمبريالية التي اكتسبها في فلسطين. في فرنسا، تابع يعقوب مونيتا عن كثب الحركة العمالية، ودُعي إلى جميع مؤتمرات النقابات الكنفدرالية العامة للعملCGT والكنفدرالية الفرنسية الديمقراطية للعمل CFDT والقوة العمالية – FO ال وكذلك إلى مؤتمرات الحزب الاشتراكي والحزب الشيوعي. عند اندلاع الانتفاضة الجزائرية في العام 1954، كان يعقوب مونيتا متشائمًا إلى حد ما بشأن نجاح هذا الانتفاض:

بعد أن واجهت الستالينية، كان عليّ أن أواجه مشكلة العنف مرتين أخريين. المرة الأولى – كنت حينها مسؤولاً عن الشؤون الاجتماعية في السلك الدبلوماسي لجمهورية ألمانيا الاتحادية في باريس – إبان الانتفاضة الجزائرية. لم أستطع، مع كل ما كنت أعرفه عن الإجراءات القمعية الوحشية في الجزائر – التعذيب والمداهمات والقصف –أن أفهم كيف استمرت جبهة التحرير الوطنية والشعب الجزائري في الصمود، بدلاً من الانهيار، وكيف لم تستسلم جبهة التحرير الجزائرية، التي تعرضت منذ عام 1954 لإرهاب لا هوادة فيه. في مقهى باريسي، طرحت السؤال على الشابة الجزائرية آسيا جبار (...). أجابتني: "عندما يتم تجنيد فلاح جزائري في جبهة التحرير الوطني، يحصل لأول مرة في حياته على زوج من الأحذية وبندقية. هذا يجعله، لأول مرة، إنساناً. الثقة بالنفس التي يكتسبها، والشعور بأنه يقاتل من أجل تحرير شعبه، وأنه الآن قادر على القتال، تسمح له بتحمل كل شيء حتى النصر[11]."

روى لاحقًا [12]أنه لم ينس أبدًا هذه العبارة والدور السياسي الذي تلعبه الكرامة في حروب التحرر من الاستعمار. تنقل مونيتا، إبان إقامته في فرنسا، بين عالمين سياسيين، من ناحية كعضو في السفارة الألمانية، وشارك في عشاءات رسمية، مما أتاح له فرصة لقاء (والتحدث مع) شخصيات مثل بيير مينديس فرانس، ولكن من ناحية أخرى لم يتخل أبدًا عن التزامه التروتسكي. عندما سأل ميشيل رابتيس، الملقب بـ "بابلو"،سكرتير الأممية الرابعة، يعقوب مونيتا عما إذا كان مستعدًا لاستقبال قادة جبهة التحرير الوطني في شقته، أجاب مونيتا دون تردد بالإيجاب. ثم قام، بمساعدة زوجته ماتيلد (التي كانت مصابة بالسرطان آنذاك)، بإخفاء العديد من أعضاء جبهة التحرير الوطني في غرفة الخادمة في شقته الباريسية في شارع برينتان. وتمكن، بفضل سيارته الدبلوماسية، من إخراجهم من باريس. وبنفس السيارة نقل حقائب مليئة بالمال، كان بابلو قد عهد بها إليه، من باريس إلى بروكسل، لتسليمها إلى إرنست ماندل الذي نقل هذا المال إلى ألمانيا حيث قام جورج يونغكلاس، وهو أيضاً عضو في الأممية الرابعة، بإيداعه في حساب الجبهة التحرير الوطني في أحد البنوك. قام مونيتا بالعديد من الرحلات نيابة عن جبهة التحرير الوطني (جنيف، أمستردام، روما، إلخ) وشارك بنشاط في شبكة الدعم التي نظمها أعضاء الأممية الرابعة:

للأسف، لم تتحقق أبدًا آمالنا في أن تصبح الجزائر ديمقراطية ليس فقط للأغنياء، بل ديمقراطية اشتراكية للفقراء. ومع ذلك، فقد تحررت الجزائر من نير الاستعمار الفرنسي، وهو ما يمثل خطوة كبيرة إلى الأمام[13].

استمد مونيتا من تجربته الفرنسية كتابه الرئيسي *Die Kolonialpolitik der französischen KP*:، الذي نشره في عام 1968 وترجمته دار ماسبيرو للنشر في عام 1971 بعنوان *Le PCF et la question coloniale*: هذا العمل ليس مقالاً سياسياً بالمعنى الدقيق للكلمة، بل هو بالأحرى تجميع لوثائق الحزب الشيوعي الفرنسي حول القضية الاستعمارية يعلق عليها مونيتا، من أجل توضيح سياق إنتاجها. لذا، فإن هذا الكتاب هو أداة سياسية أساسية لفهم تطور الحزب الشيوعي الفرنسي تجاه المستعمرات منذ العام 1924. لن نعود هنا إلى مجمل أعمال مونيتا، لكن هذا الوثيقة سمحت لمونيتا بالتساؤل عن تطور موقف الحزب الشيوعي الفرنسي تجاه المستعمرات:

(...)لولا أنه اضطر إلى ذلك، لما كانت المسألة الاستعمارية – على الأقل منذ تغيير موقفه في عهد الجبهة الشعبية – على عكس التصريحات الرسمية للحزب، موضوعًا مستمرًا لبحوثه النظرية أو حتى لممارسته السياسية في فرنسا[14].

لذلك، يركز مونيتا في عمله بشكل خاص على الفجوة الهائلة بين خطاب الحزب الشيوعي الفرنسي بشأن المستعمرات وغياب الحافز العملي لدعم نضالات التحرر الوطني من جانب هذا الحزب. لم يكن يعقوب مونيتا أبدًا منظراً سياسيًا، وقد نشر بشكل أساسي كتابات مناسباتية، لكن الحركات اليسارية الألمانية والأوروبية الحالية ستستفيد باستلهام نضالاته المناهضة للإمبريالية. يختتم مونيتا كتابه بالاستنتاج التالي:

(...)كان من غير المرجح جدًا ظهور حركة مناهضة للاستعمار عفوية في الطبقة العاملة الفرنسية. كانت ترى مئات الآلاف من العمال الجزائريين وتعتبرهم "مؤهلين" لجميع الأعمال القذرة والمنخفضة الأجر في الشركة. لم تكن تشعر بالكثير من التعاطف تجاههم، ولم تفهم نضالهم من أجل الحرية انطلاقًا من وضعهم الخاص. لم يبادر الشغيلة الفرنسيون بأنفسهم إلى إطلاق حركة إلا من أجل قضايا تتوافق مع مصالحهم المباشرة. فيما يتعلق بالمسألة الاستعمارية (وكذلك مكافحة الكراهية العنصرية)، كان من

الممكن تحقيق التضامن من خلال عمل تثقيفي طويل الأمد يقوده حزب مرتبط بالسكان الشغيلة ويحظى بثقتهم[15].

في ذلك الوقت، تعرض كتابه لهجوم عنيف من قبل جان سوريت-كانال الذي كتب أن "المؤلف بحاجة إلى تحليل نفسي". [16]انتقد سوريت-كانال مونيتا بشكل خاص لعدم تناوله بشكل كافٍ دور الحزب الشيوعي الفرنسي في الهند الصينية ومدغشقر وشخصية هو تشي منه في السنوات الأولى للحزب الشيوعي الفرنسي. رد مونيتا على ذلك قائلاً:

(...)لم أشكك في الصفات الثورية لهو تشي منه. لقد شككت فقط في أن تصويت أعضاء البرلمان أو وزراء الحزب الشيوعي الفرنسي لصالح الاعتمادات العسكرية المخصصة لحرب الهند الصينية، وبالتالي ضد الرفيق الشيوعي هو تشي منه، أمر يمكن وصفه بأنه دعم للثورة الفيتنامية وسياسة مناهضة للاستعمار وفقاً لتصور لينين.

وقد أزعجتني الشكوك نفسها فيما يتعلق بالإجراءات القمعية الوحشية في الجزائر بعد تحرير فرنسا تحت رعاية حكومة ضمت خمسة وزراء شيوعيين[17].

العودة إلى ألمانيا

على الرغم من أن مونيتا ظل على اتصال مع ألمانيا الاتحادية إبان إقامته في فرنسا، لم تعد ألمانيا الغربية التي عاد إليها في عام 1962 تشبه تلك التي غادرها قبل بضع سنوات. بعد مؤتمر بادنسغودسبيرغ للحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني(SPD) ، وجد جيل كامل من المناضلين اليساريين أنفسهم يتامى سياسيًا، وقليل منهم شارك في تأسيس الحركات اليسارية الجديدة التي أسسها الجيل الشاب بعد عام 1968. لكن تفاؤل مونيتا السياسي دفعه إلى البقاء عضواً في الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني، كما واصل كتابة مقالات (تحت اسم مستعار) في منشورات الأممية الرابعة، بينما أصبح محرراً لمجلة *Metall*، المجلة الشهرية لنقابة عمال الصناعات المعدنية الألمانية. تحت إدارة مونيتا، زاد عدد قراء هذه المجلة ليصل إلى 2.2 مليون قارئ؛ كما تم إصدار طبعات باللغات الأجنبية من أجل تنظيم العمال المهاجرين في نقابات. بعد سقوط جدار برلين، تم طرد مونيتا من الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني، وبعد عامين – في عام 1991 – انضم إلى الحزب الديمقراطي الاشتراكي (الحزب الشيوعي السابق لألمانيا الشرقية)، حيث ظل عضواً في اللجنة التنفيذية حتى بلغ الثمانين من عمره.

مع وفاة جاكوب مونيتا، فقدت الأممية الرابعة أحد أعظم شخصياتها التي، كما كتب كريستوف يونكي، لم تكن تعتبر " الماركسية مجرد أسلوب تحليلي، بل أيضاً أخلاقيات تضامن ". [18]عندما التقى إيان بيرشال بجاكوب مونيتا، قبل عيد ميلاده الخامس والتسعين بقليل، أخبره مونيتا أن "من لم يُقتل في معسكرات الاعتقال، ولم يُقتل في غرف الغاز، ونجا من الحروب الإمبريالية، لا يحق له التخلي عن النضال من أجل الاشتراكية." [19]لذا حافظ مونيتا طوال حياته على فكرة أن النضال ضد الاستعمار هو نضال أساسي لجميع الحركات اليسارية؛ هذا النضال – ضد الصهيونية والاحتلال البريطاني والاستعمار الفرنسي، إلخ – يجب أن يُذكر اليوم، في وقت يبدو فيه اليسار الأوروبي في مأزق أمام الإمبريالية وعلاقات القوة الناتجة عنها. لا يزال الاستعمار غير المُفكر فيه داخل الأحزاب اليسارية، حتى اليوم، جانبًا أساسيًا من الجمود السياسي لهذه الأحزاب نفسها فيما يتعلق بالأحياء الشعبية وغير البيض.

المصدر:

https://www.contretemps.eu/hommage-jakob-moneta-1914-2012/

références

⇧1 Jakob Moneta, « Plus de force pour les sans pouvoir : L'expérience d'un révolutionnaire juif allemand dans la Palestine d'avant 1948 »,http://www.tlaxcala.es/pp.asp?reference=1630&lg=fr

⇧2 Ibid.

⇧3 Luigi Wolf, « »Ein Staat, in dem Juden und Araber zusammen leben … ». Interview mit Jakob Moneta », Sozialismus-von-unten, http://www.sozialismus-von-unten.de/archiv/svu5/interview_jakob_moneta.htm

⇧4 Ibid.

⇧5 Tony Cliff, Un monde à gagner, archives internet marxistes, http://www.marxists.org/francais/cliff/1998/umg/cliff_umg_01.htm

⇧6 Jakob Moneta, « Plus de force pour les sans pouvoir … », art. cit.

⇧7 Ian Birchall, Tony Cliff : A Marxist for his time, Bookmarks, 2001, p. 34.

⇧8 Jakob Moneta, « Plus de force pour les sans pouvoir … », art. cit.

⇧9 Ibid.

⇧10 Ibid.

⇧11 Ibid.

⇧12 Jakob Moneta, « Ein Kofferträger », Sozialistische Zeitung, Fevrier 2005, p. 20, http://www.vsp-vernetzt.de/soz/0502201.htm

⇧13 Ibid.

⇧14 Jakob Moneta, Le PCF et la question coloniale, Maspero, Paris, 1971, p. 298.

⇧15 Ibid, p. 302.

⇧16 Jean Suret-Canale, « Remarques critique sur une étude de l'Institut de Recherches de la Fondation Friedrich-Ebert : le Parti Communiste Français et la lutte anticoloniale », Cahiers de l'Institut Maurice Thorez, n°18, 2ème trimestre 1970, pp. 30-42.

⇧17 Jakob Moneta, « À propos de la critique de Suret-Canale » dans MONETA, Jakob, Le PCF et la question coloniale, Maspero, Paris, 1971, p. 304.

⇧18 Christoph Jünke, « Über die Ethik der Solidarität. Eine Begegnungstagung zum 85. Geburtstag von Jakob Moneta », UTOPIE kreative, n°112, Fevrier 2000, pp. 178-180.

⇧19 Ian Birchall, « Jakob Moneta (1914-2012) », Revolutionary History, n°10, 2012, pp. 284-286.

مقدمة بيار فرانك لكتاب يعقوب مونيتا:

الحزب الشيوعي الفرنسي ومسألة الاستعمار 1920-1965 [*]

سنوات قليلة فقط تفصلنا عن النضالات الكبرى التي أدت إلى نهاية الإمبراطوريات الاستعمارية التي شكلتها القوى الرأسمالية الأوروبية في القرون السابقة. يستمر الآن نضال «نزع الاستعمار» بشكل خاص في الأراضي الأفريقية الواقعة جنوب زامبيزي، حيث تقاتل أقلية بيضاء، ظهرها إلى الحائط، بشراسة اليائس، وفي أراضي صغيرة لا تزال مستعمرة كما في الماضي. من ناحية أخرى، حل استعمار الجديد محل القديم في العديد من البلدان، ما طرح مشكلات جديدة. تستحق النضالات التي أدت إلى تفكك الإمبراطوريات الكبرى، ولا سيما البريطانية والفرنسية، أن تُدرس لفهم الدور الذي أدته جميع الطبقات والتشكيلات السياسية، سواء في البلدان المستعمرة أو في العواصم الإمبريالية.

تعرضت شعوب البلدان المستعمرة لقمع واستغلال بغيضين من قبل الإمبرياليين، ودفعت ثمناً باهظاً من أجل «استقلال سياسي» بعيد كل البعد عن استقلال حقيقي في البلدان التي لم تتم فيها إطاحة الرأسمالية. ومع ذلك، فقد أضعفت تلك الشعوب الرأسمالية العالمية بنحو خطير، وبالتالي ساعدت شغيلة في المراكز الإمبريالية في نضالهم ضد مستغليهم. للأسف، ليس العكس صحيحاً، فقد كان دعم الشغيلة البلدان الإمبريالية لنضالات الشعوب المستعمرة غير كافٍ على أقل تقدير. والحال أن شغيلة المتروبولات

منظمون بشكل قوي، ولا تزال تحركاتهم متوقفة بشكل أساسي على سياسة منظماتهم السياسية والنقابية. لا نعرف أي حالة مهمة في فترة ما بعد الحرب لم يستجب فيها شغيلة هذه البلدان لدعوات منظماتهم للقيام بأعمال تضامنية، بل إن هذه الدعوات هي التي غالباً ما كانت غائبة، ولذلك يجب البحث أولاً في سياسة هذه المنظمات عن أسباب نقص دعم شغيلة المتروبولات للشعوب المستعمرة المتمردة على الإمبريالية.

لا داعي للاسترسال في الحديث عن سياسة الأحزاب الاشتراكية في المسألة الاستعمارية لأنها لا تخدع أحداً. فقد قدمت هذه الأحزاب، من بين أمور أخرى، وزراء للمستعمرات البريطانية. وعملت كمدافعة عن المصالح الإمبريالية وليس عن الشعوب المستعمرة؛ وكان هذا هو الحال حتى بالنسبة لأتلي Attlee الذي "منح" الاستقلال للهند... للحفاظ على المواقع الاقتصادية للرأسمالية التي كان يقودها. كما أن دور غي موليه Guy Mollet في الجزائر والسويس لم يُنسى بالتأكيد.

لم يكن فهم سياسة الأحزاب الشيوعية في الدول الرأسمالية سهلا بقدر سهولة فهم سياسة الاشتراكيين الديمقراطيين، سواء في مجال الاستعمار أو في جميع المجالات الأخرى. بالأقل لم تكن كذلك بالنسبة للغالبية العظمى من المناضلين لفترة مديدة جدًا. ولا يخلو من فائدة التذكير بأن انتقاد سياسة الاتحاد السوفيتي والأحزاب الشيوعية لم ينتشر حقًا في العالم إلا بصدد حرب فيتنام، حيث ظهرت بجلاء الروابط بين إصلاحية هذه السياسة و«التعايش السلمي»، لا سيما برفض شعار «جبهة التحرير الوطني ستنتصر" لفرض شعار السلام عن طريق المفاوضات و"التعايش السلمي". في فرنسا، كان العديد من المناضلين قد صدموا بالفعل من سياسة الحزب الشيوعي الفرنسي الملتبسة خلال حرب الجزائر.

من أجل تقييم صائب لسياسة الأحزاب الشيوعية إزاء الشعوب المستعمرة، قد يكون مفيدا أن نضع جانباً للحظة الاعتبارات العامة لننكب على دراسة تفصيلية لسياسة حزب شيوعي معين. وفي هذا الصدد، لا يوجد بالتأكيد أفضل من دراسة سياسة الحزب الشيوعي في فرنسا، لأننا في هذه الحالة في الآن ذاته إزاء إمبراطورية استعمارية كبيرة وحزب شيوعي قوي في المتروبول. والاستدلال الذي قد ينتج عن ذلك أكثر وقعا من نظيره الخاص بالحزب الشيوعي في بريطانيا، لأن الإمبراطورية البريطانية كانت أكبر بكثير من الإمبراطورية الفرنسية، لكن الحزب الشيوعي البريطاني لم يمارس أبدًا تأثيرًا حاسمًا على الحركة العمالية في بلده.

بدأت الشعوب المستعمرة، في الإمبراطورية الفرنسية، النضال من أجل تحررها بعد الحرب العالمية الأولى بقليل، واستمرت هذه النضالات بعد الحرب العالمية الثانية قرابة عشرين عامًا، أي ما مجموعه أربعين عامًا، وهو وقت أطول من اللازم لكي تظهر

بوضوح الخطوط العريضة والتغييرات الجوهرية في سياسة أي حزب.

نعيد أيضًا إلى الأذهان أن الحزب الشيوعي الفرنسي أكثر الأحزاب الشيوعية الكبرى إخلاصًا للكرملين، لدرجة أن الكثيرين استشهدوا في هذا الصدد بالعبارة الشهيرة عن فرنسا، الابنة الكبرى للكنيسة. ولكن إذا كان هناك تيار غاليكاني قد عبر عن نفسه في بعض الأحيان بقوة، فويل لمن تجرأ منذ العام 1925 على الوقوف في الحزب الشيوعي الفرنسي ضد سياسة موسكو!

ما التوجهات التي انتهجها الحزب الشيوعي الفرنسي إبان كل تلك السنوات؟ كتاب يعقوب مونيتا مساهمة قيّمة للإجابة على هذا السؤال. تابع المؤلف لعدة سنوات الحركة العمالية الفرنسية بشكل مباشر، وجمع بشكل أساسي نصوصًا من الحزب الشيوعي، ونصوصًا من مؤتمراته أو هيئاته المركزية، ونصوصًا لقادته الأكثر شهرة أو من أولئك الذين قادوا في هذا الحزب، في فترات مختلفة، نشاطه صوب المستعمرات وفي الكفاح ضد الإمبريالية داخل المتروبول. يتألف حوالي ثلثي الكتاب من نصوص هذا الحزب نفسه. ولكن لا بد، لفهم هذه النصوص جيدا، من وضعها في السياق الذي كُتبت فيه وفي الحقب المهمة من حياة الحزب الشيوعي، وإظهار الاختلافات التي تميز هذه التغييرات في السياسة، في علاقة بالتغيرات في الوضع. وقد أنجز المؤلف بهذه المهمة على أكمل وجه. فهو يبدأ بإظهار هذا الحزب الشيوعي، المنبثق عن الحزب الاشتراكي حاملا معه آثار النزعتين البرلمانية والوطنية لهذا الأخير، وهو يسعى جاهداً في سنواته الأولى ليصبح حزباً شيوعياً حقيقياً، وفياً للالتزامات التي قطعها على نفسه عند انضمامه إلى الأممية الشيوعية. وبدا أنه قد نجح في ذلك، لا سيما إبان حرب المغرب، عندما بدأ الانحطاط الستاليني في الظهور. لم يبدِ الحزب الشيوعي الفرنسي مقاومة تذكر للستالينية، لكن آثارها لم تظهر دفعة واحدة في جميع المجالات. لا سيما في مجال العمل المناهض للعسكرة، وقد استمر الجهاز السري حتى مايو 1935، أي حتى إعلان «لافال-ستالين». وبالمثل، لم يؤثر الانحطاط الستاليني في البداية على العمل في المجال الاستعماري. لكن الأمور انقلبت 180 درجة مع تصريح «لافال-ستالين»، حيث اعترف الزعيم السوفيتي ووافق على تدابير الدفاع الوطني التي اتخذها الإمبريالية الفرنسية. وبحق، يشدد المؤلف على الأهمية البالغة لهذا التصريح بالنسبة لحياة الحزب الشيوعي. ومنذ ذلك الحين، مهما كانت التحولات التي سيمر بها - وستكون كثيرة! - فلن يعود أبدًا إلى الغرض الذي أنشئ من أجله، وسيبحر في مستنقع الانتهازية. يكتسي هذا الكتاب أيضًا أهمية كبيرة في إظهار خطأ أولئك الذين ينسبون، تحت ضغط القادة الصينيين، إلى خروتشوف وحده "التعايش السلمي"، ويدعون أن سياسة موسكو وأتباعها قبله كانت لا تشوبها شائبة من وجهة نظر ماركسية ثورية. وبالتالي، فإن هذا الكتاب يعطي لكل واحد حقه، أي يعطي ستالين الفضل في سياسة أدت إلى انزلاق الأممية الشيوعية وفروعها في براثن الانتهازية.

إنه إذن مع تصريح لافال-ستالين في مايو 1935 كانت بداية الزمن التي لم يعد من الممكن فيه فهم سياسة الحزب الشيوعي الفرنسي تجاه حركات المستعمرات إلا بالرجوع إلى التحولات في دبلوماسية الكرملين. على عكس الحزب الاشتراكي الذي ترتبط نزعته الاصلاحية ارتباطًا مباشرًا بمصالح الرأسمالية الفرنسية، تجد سياسة الحزب الشيوعي الفرنسي الإصلاحية أيضًا أصلها في متطلبات الدبلوماسية السوفيتية.

تُقدَّم سياسة الأحزاب الشيوعية على أنها التطبيق الأكثر إخلاصًا للينينية في مجال «الأممية البروليتارية»، لكن هدفها لم يعد انتصار الثورة الاشتراكية على الصعيد العالمي. أصبحت هذه السياسة، المقتفية آثار موسكو، تبحث باستمرار عن الحفاظ على الوضع القائم مع العالم الرأسمالي. وهو وضع لا يحترمه الإمبرياليون الذين لا يفكرون إلا في احتواء وتقويض تقدم الثورة في العالم عند أدنى فرصة تسنح لهم؛ وهو وضع لا يمكن أن تحترمه جماهير العالم بأسره، ولا سيما الجماهير المستعمرة، التي لم تحترمه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية عندما أرادت التخلص من الاضطهاد والاستغلال اللذين كانت تعاني منهما.

منذ أن تخلى الحزب الشيوعي الفرنسي، الذي استسلم للستالينية، عن سياسته الثورية الرامية إلى هزيمة إمبرياليته الخاصة، كما تم تلخيصها في "الشروط الـ 21" للانضمام إلى الأممية الشيوعية، برز عنصران أساسيان في سياسته:

أ) دافع لفترة طويلة عن بقاء الإمبريالية الفرنسية في أراضي الإمبراطورية الفرنسية باعتبارها "أهون الشرور" مقارنة بوجود إمبريالية ألمانية أو إيطالية أو بريطانية أو أمريكية أخرى، والتي، حسب رأيه، ستؤدي إلى رحيلها؛

ب) كان دائماً يدعو إلى السعي إلى مساومة مع البرجوازية المحلية في البلدان المستعمرة. وهكذا، لم يُبدِ الحزب الشيوعي الفرنسي قط ثقته في نضالات الجماهير، ولم يتصور نضالاً مستقلاً للجماهير العمالية والريفية بهدف إنشاء دولة عمالية تضمن الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية.

يبرز المؤلف أيضا، من خلال وفرة النصوص المجمعة في هذا الكتاب، أن الحزب الشيوعي الفرنسي كان دائمًا متأخرًا عن نضالات الجماهير في سياسته المتعلقة بالمسألة الاستعمارية. وعلى وجه الخصوص، في حالة استقلال الجزائر، لم يتبن شعار الاستقلال إلا بعد أن أصبح انتصار الجزائريين، إن لم يكن معترفًا به رسميًا من قبل السلطات الفرنسية، فمكتسبًا عمليًا على الأقل. ولعل هذا هو المثال الأكثر تمثيلاً للسياسة الستالينية: لم يعرف العالم أي حفاظ على وضع قائم منذ عام 1914، لكن أولئك الذين خضعوا، في عهد ستالين ومنذ ستالين، لمتطلبات السياسة السوفياتية كانوا دائمًا في أعقاب الأحداث، حيث ابدلوا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، بمجرد أن حقق شعب مستعمر انتصارًا على الإمبريالية، الوضع الراهن بوضع راهن آخر.

نسمح لأنفسنا، في هذه المقدمة، أن نركز قليلاً على عبارة «الاتحاد الفرنسي الحقيقي» التي استخدمها الحزب الشيوعي الفرنسي في سياسته بشأن المستعمرات، لتسليط الضوء على مسألة لا تدخل في موضوع هذا الكتاب بحد ذاته، ولكنها تتعلق بالسياسة العامة للحزب الشيوعي الفرنسي في الفترة التي يغطيها هذا الكتاب، وكذلك في الوقت الحاضر. إن عبارة "الاتحاد الفرنسي"، التي أصبحت اليوم من مخلفات التاريخ، لا تعدم صلة بالهدف الأساسي الذي يطرحه الحزب الشيوعي الفرنسي حالياً لفرنسا، ألا وهو "الديمقراطية المتقدمة."

تجدر الإشارة إلى أن الأحزاب الشيوعية كانت، في أعقاب الحرب العالمية، تدعو إلى "ديمقراطية شعبية" في كل من دول أوروبا الغربية والشرقية. لم تكن "الديمقراطية الشعبية" صيغة خادعة لإخفاء تغيير في النظام الاجتماعي؛ بل كانت تشير، بالنسبة لأوروبا الشرقية والغربية على حد سواء، إلى نظام سياسي في إطار النظام الرأسمالي، وهو نظام سنتطرق إليه لاحقًا.

بعد ذلك، تم التخلي عن صفة «شعبية» في أوروبا الغربية لأسباب لا داعي لشرحها هنا، ومنذ ذلك الحين دعت الأحزاب الشيوعية في أوقات مختلفة إلى ما يسمى بالديمقراطية «الجديدة» و«الحقيقية» و«المتقدمة». بالنسبة للبلدان المستعمرة، ابتكر إعلان مؤتمر الأحزاب الشيوعية والعمالية الـ 81 لعام 1960 مقولة جديدة، هي "الديمقراطية الوطنية."

أيا تكن الصفة التي تضفيها الأحزاب الشيوعية إلى كلمة "ديمقراطية"، سواء بالنسبة للبلدان الرأسمالية المتقدمة اقتصادياً في أوروبا أو للبلدان المتخلفة، ثمة تصور واحد وأوحد يكمن في الأساس، وهو في الواقع الصيغة التحريفية التي وضعها بيرنشتاين في بداية القرن، والتي حيَّنها ستالين وأتباعه، إذا جاز التعبير. وهي تفترض وجود قسم «تقدمي» من البرجوازية يمكن أن تتفاهم معه الجماهير العاملة والأحزاب التي تنتسب إلى الاشتراكية أو الشيوعية، بهدف إقامة نظام ديمقراطي من نوع خاص في النظام الرأسمالي، تتوسع فيه الديمقراطية باستمرار بحيث تؤدي في مرحلة ما إلى القضاء السلمي على النظام الرأسمالي وإقامة مجتمع انتقالي إلى الاشتراكية. كان هذا التصور لدى برنشتاين ينطلق من استقراء محتمل للنظام الديمقراطي في ذروته في أوروبا الغربية في نهاية القرن التاسع عشر. وقد ثبت مرارًا وتكرارًا، منذ العام 1914، أن هذا التصور وهمي. يعود أصل هذا التصور، عند للبيروقراطية السوفيتية وأنصارها، إلى منظور "تعايش سلمي" مع العالم الرأسمالي من شأنه أن يتيح تنمية اقتصاد الاتحاد السوفياتي و"المعسكر الاشتراكي" دون أي إرباك خارجي، إلى أن يأتي تفوق الاتحاد السوفياتي على الرأسمالية ليضمن انتصارًا سلميًا حاسمًا. فبنظر قادة موسكو، لم يعد تحرير الشغيلة عملاً يقوم به الشغيلة أنفسهم بوسائل ثورية؛ بل إنهم يرون أن «السمة الأساسية لعصرنا هي أن النظام الاشتراكي العالمي أصبح العامل الحاسم في

تطور المجتمع البشري» (إعلان مؤتمر 81 حزباً شيوعياً وعمّالياً، موسكو، 1960) . بعبارة أخرى، لم يعد الشغيلة القوة الحاسمة للثورة البروليتارية، بل التطور الاقتصادي للاتحاد السوفياتي والدول العمالية الأخرى.

وقد تصرف الكرملين والأحزاب الشيوعية المصطفة معه وفقًا لهذه الرؤية؛ فهم يخشون الاضطرابات التي تسببها كل ثورة في العالم، وقد باعوا أكثر من مرة حق بكورة البروليتاريا مقابل طبق عدس، وأحيانًا مقابل أقل من ذلك. لكن هذه الرؤية لديمقراطية «متقدمة» و«حقيقية» وما إلى ذلك، أو لـ«اتحاد فرنسي حقيقي» لم تتحقق أبدًا. لم تبدِ أي برجوازية أو قسم من البرجوازية - سواء في المركز أو في البلدان ذات البنية الاستعمارية - استعدادها لإقامة ديمقراطية من النوع الذي قد يحرمها في مرحلة لاحقة من ملكية وسائل الإنتاج والدولة. لقد جرى الانتقال دائما، حتى الآن، إلى مجتمع يبني الاشتراكية بنضال ثوري مسلح ضد البرجوازية برمتها، ولم يتم أبدًا بنحو سلمي مع قسم منها. وما من سبب لاعتقاد بأن هذا سيتغير مستقبلا، خاصة طالما بقي في العالم معقل رأسمالي له من القوة ما للولايات المتحدة.

ومن فوائد النصوص الوفيرة الصادرة عن الحزب الشيوعي الفرنسي المجموعة في هذا الكتاب أنها تسلط الضوء على الأساليب الستالينية التي تشبه في المجال الاستعماري تلك التي يستخدمها هذا الحزب في جميع المجالات. أولاً، الأساليب الأكثر بروزا لأنها الأكثر فظاظة: لا يتم أبداً تحليل المناضلين والمنظمات في المستعمرات التي لا تتفق مع سياسة الحزب الشيوعي الفرنسي، وتخوض معركة لا تأخذ في الاعتبار دبلوماسية الكرملين، تحليلا طبقيا، ولا يُطرح السؤال حول القوى الاجتماعية التي يمثلونها في بلدانهم وأهدافهم؛ إنهم بنظر الحزب الشيوعي الفرنسي، حسب الظروف، عملاء لهتلر والإمبريالية الأمريكية، إلخ، ومستفزين. ولعل الحالة الأكثر بروزًا هي المتعلقة بالجزائر، حيث استُخدمت هذه الأساليب في حالتين، أولاً عندما أعلن وزير الجبهة الشعبية حلّ منظمة نجم شمال إفريقيا، وثانيًا في بيان المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفرنسي عندما بدأ الكفاح المسلح في الجزائر في 1 نوفمبر 1954. في الحالة الأخيرة، نواجه أيضًا طريقة أخرى من طرق الحزب الشيوعي الفرنسي، وهي طريقة فظة بنفس القدر، تتمثل في إعادة نشر نصوصه الخاصة بعد حذف أجزاء منها، ليتمكن من الادعاء بأن الحزب دافع عن الجزائريين منذ اليوم الأول، في حين أنه كان يشجبهم بشدة آنذاك.

لكن الحزب الشيوعي الفرنسي، وجميع الستالينيين، يلجؤون أيضًا إلى أساليب مختلفة عن هذه الأساليب الفظة، والتي تساهم بشكل أكبر في خداع المناضلين والجماهير وتضليلهم. تستخدم قيادة الحزب هذه الأساليب بشكل خاص عندما يقوم بانعطاف؛ وفي هذا الصدد، فإن وفرة النصوص التي نجدها في هذا الكتاب مفيدة بشكل خاص، لا بل لا غنى عنها. لأنه يجب قراءة النصوص واحداً تلو الآخر لرؤية كيف،

في التكرار الرتيب لاستدلال جرى عدة مرات، تختفي جملة ما أو تُدرج جملة أخرى خلسةً بهدف إحداث تغيير في السياسة يريد الحزب إخفاءه لتجنب أي تفسير لمواقفه السابقة.

كما تتيح وفرة النصوص فهم العديد من الأمثلة على الحيل الستالينية التي لا تقل عن تلك التي استخدمها اليسوعيون والتي عرضوها ببراعة فيLes Provinciales . استدلال يتيح في يوم من الأيام عدم التضحية بالجزء من أجل الكل، وفي اليوم التالي بإبدال أحدهما بالآخر، دون تفسير جاد. تسمح هذه الحجج للحزب الشيوعي الفرنسي برفض أن تكون الطبقة العاملة «قوة داعمة» للمثقفين والطلاب عندما ينخرطون في سياسة ثورية مناهضة للإمبريالية، وأن تجعلها في اليوم التالي القوة الداعمة في التصويت لصالح السياسيين الإصلاحيين.

كرّس المؤلف هذا الكتاب لسياسة الحزب الشيوعي الفرنسي في المسألة الاستعمارية بالنسبة لبلدان مثل المغرب وفيتنام والجزائر، وفيما يتعلق بهذه البلدان، فإن برهنته هي بلا شك اتهام ساحق. لم يتطرق إلى بعض المستعمرات (مارتينيك، غوادلوب، إلخ) أو اكتفى بذكر مستعمرات أخرى (مدغشقر، سوريا)، لكن ذلك لا يغير شيئًا من الصورة العامة لسياسة الحزب الشيوعي الفرنسي كما تظهر في هذا الكتاب. ويكفي في هذا الصدد أن نقتبس الكلمات التي كتبها الشاعر إيمي سيزير، من مارتينيك، إلى موريس توريز، في 24 أكتوبر 1956، في رسالة استقالته من الحزب الشيوعي الفرنسي: «مكاتب فرع الحزب الشيوعي الفرنسي في المستعمرة نظير مثالي لوزارة شارع أودينو [مقر وزارة المستعمرات، التي أصبحت منذ ذلك الحين وزارة فرنسا ما وراء البحار] ..."

فيما يتعلق بأفريقيا السوداء، يتوقف الكتاب عند الفترة التي أصبحت فيها المستعمرات الفرنسية «مستقلة». الفصل الجديد الذي بدأ آنذاك ومشاكله الجديدة قد طغت على الأحداث التي يرويها الكتاب. على أي حال، فإن الأنشطة رفيعة المستوى التي انخرطت فيها الحزب الشيوعي الفرنسي في عهد الاستعمار لم تسفر إلا عن فشل ذريع، حتى في حالة غينيا التي ظل زعيمها سيكو توريه، من بين جميع القادة الأفارقة، الأقرب إلى "المعسكر الاشتراكي".

لم يفوت هذا الكتاب، الذي نُشر في ألمانيا، وبالتالي موجه لجمهور أكثر تخصصًا مما هو عليه الحال في فرنسا، أن يثير حفيظة قادة الحزب الشيوعي الفرنسي قبل أن يُطرح للنقاش في فرنسا. وقد تم التنديد به في مجلة Cahiers de l'institut Maurice Thorez الفاخرة من قبل Suret-Canale، أبرز متخصصي الحزب الشيوعي الفرنسي الحاليين في شؤون في المسائل الاستعمارية. وهو خبير في المسائل المتعلقة بتاريخ أفريقيا قبل الاستعمار وأثناءه، ويشهد في نقده لهذا الكتاب أنه عندما يتعلق الأمر بسياسة الحزب الشيوعي الفرنسي، فإنه ستاليني مائة بالمائة. تتضمن الطبعة الفرنسية من هذا الكتاب ملاحظة

من المؤلف يعقوب مونيتا حول النقد الذي وجهه سوريت-كانال؛ لذا يكفي أن نقول هنا إنه في المقال المنشور في مجلة معهد موريس توريز، لا يعترض - ولسبب وجيه - على أي من النصوص العديدة المقتبسة فيه؛ ولا يمكنه حتى أن يتحدث عن احتمال قطع النصوص، حيث لم يتردد مؤلف الكتاب في تكرار نفس الحجة الستالينية أكثر من مرة لإثبات أن الأمر لا يتعلق بمواقف عرضية للحزب الشيوعي الفرنسي. المقالة الكاملة لسوريت-كانال لها موضوع واحد فقط: سياسة الحزب الشيوعي الفرنسي كانت دائمًا صائبة، وأي شخص ينتقدها لا يمكن أن يكون إلا ذو نوايا خبيثة ويعمل لصالح الرأسمالية. هذا المقال، بعد العديد من المقالات الأخرى، هو مثال إضافي على الطريقة التي يتم بها تدمير المثقفين -الذين أصبح عددهم اليوم، لحسن الحظ، أقل فأقل- في "المدرسة" التي أنشأها ستالين، الذي كان يفتقر، على حد تعبير لينين نفسه، إلى أبسط الأخلاق.

وإذا كان ثمة تعويض عن التأخير في نشر هذا الكتاب في فرنسا، فهو أن صدوره يتزامن مع الذكرى الخمسين لتأسيس الحزب الشيوعي الفرنسي، وأنه يمثل أحد أفضل المساهمات في تاريخ الستالينية، ولا سيما هذا الحزب، حزب تم إنشاؤه بحماس استجابة لدعوة ثورة أكتوبر من قبل المناضلين العماليين الذين ثاروا ضد الاتحاد المقدس للحزب الاشتراكي إبان حرب 1914-1918، حزب سعى لعدة سنوات إلى إعطاء الطبقة العاملة في فرنسا قيادة ماركسية ثورية، حزب سقط تحت سيطرة البيروقراطية السوفياتية بقيادة ستالين في براثن الانتهازية والبرلمانية، بل وأصبح في بعض الأحيان أداة للإمبريالية الفرنسية ضد الشعوب التي استعمرتها. سيفهم الشباب الثوريون الفرنسيون ومناضلو حركات التحرر في ما يسمى بالعالم الثالث، بفضل هذا الكتاب، الأسباب العميقة لسياسة الحزب الشيوعي الفرنسي والستالينية العالمية من خلال مظاهرها في مجال النضال ضد الإمبريالية الحساس للغاية، وبعد فهمها جيدًا، سيكونون أكثر قدرة على تحديد سياسة ماركسية ثورية حقيقية.

بيير فرانك نوفمبر 1970.

بيير فرانك :

ولد في 24 أكتوبر 1905 في باريس ، وتوفي في 18 أبريل 1984 .مهندس؛ مناضل في الحزب الشيوعي، ثم في المعارضة اليسارية؛ أحد مؤسسي الحركة التروتسكية في فرنسا، سكرتير سابق لـ تروتسكي؛ من قادة الأممية الرابعة وفرعها الفرنسي.

Jacob Moneta

Le PCF et la question coloniale 1920. 1965

Editions Fran«ois Maspero . 1970